

أن الأوان لإعادة الانخراط الدولي في الصحراء الغربية

إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 82
الرباط/الجزائر العاصمة/بروكسل، 11 آذار/مارس 2021. ترجمة من الإنكليزية

ما الجديد؟ يُبدي الصراع الخامد منذ أمد بعيد بين المغرب وجبهة البوليساريو على منطقة الصحراء الغربية المتنازع عليها علامات مقلقة تشير إلى عودته إلى الحياة. فقد أدى قيام البوليساريو بقطع شريان حيوي في المنطقة العازلة الخاضعة لمراقبة الأمم المتحدة إلى رد عسكري مغربي، دعت في أعقابها الجبهة إلى إلغاء وقف إطلاق النار واستئناف الهجمات.

ما أهمية ذلك؟ تنذر الأعمال العدائية الأخيرة بالمزيد من التصعيد، خصوصاً في غياب الجهود الدولية لتهدئة الحواطر ودفع الطرفين إلى العودة إلى طاولة المفاوضات. وما يزيد في تعقيد الأمور اعتراف إدارة ترامب بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، كجزء من اتفاق التطبيع الذي توصلت إليه الرباط مع إسرائيل والذي قد يختار الرئيس الأميركي جو بايدن عدم الرجوع عنه.

ما الذي ينبغي فعله؟ ينبغي على القوى الخارجية أن تتخذ خطوتين لإرجاع الطرفين عن حافة الصراع. أولاً، يتعين على الأمم المتحدة تعيين مبعوث خاص جديد للصحراء الغربية، وهو منصب تركته شاغراً لسنتين تقريباً. ثانياً، ينبغي على واشنطن التحرك لتشجيع خفض التصعيد وإعادة إحياء المفاوضات السياسية.

I. لمحة عامة

بعد نحو 30 عاماً من الالتزام بوقف لإطلاق النار تم التوصل إليه عام 1991، استؤنفت الأعمال العدائية بين المغرب وجبهة البوليساريو في الصحراء الغربية، وهي منطقة متنازع عليها وتسعى الجبهة إلى استقلالها. في 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، أرسل المغرب قوات إلى المنطقة العازلة الخاضعة لمراقبة الأمم المتحدة لوضع حد لقيام أنصار البوليساريو بقطع طريق الكركرات الاستراتيجي لمدة ثلاثة أسابيع. رداً على ذلك، انسحبت البوليساريو من اتفاق وقف إطلاق النار وجددت الهجمات على الوحدات العسكرية المغربية. وقد كانت ردود الفعل الدولية على التصعيد في معظمها متعاطفة مع المغرب، في حين ظل مجلس الأمن الدولي صامتاً. حققت الرباط نصراً دبلوماسياً كبيراً في 10 كانون الأول/ديسمبر، عندما اعترف الرئيس الأميركي دونالد ترامب بسيادتها على الصحراء الغربية. من أجل تجنب التصعيد، ينبغي على الداعمين الدوليين للمغرب دفع الرباط للقبول بتعيين مبعوث خاص جديد للأمم المتحدة – وهو منصب شاغر منذ أيار/مايو 2019 – دون شروط مسبقة. كما يتعين على إدارة بايدن، وبالتنسيق الوثيق مع فرنسا، وروسيا والجزائر، وجميعها أطراف خارجية رئيسية معنية بالصراع، الضغط على الطرفين للقبول بهدنة والشروع في المفاوضات من جديد.

قبل سنتين فقط كانت الأمور مختلفة جداً؛ حيث بدا أن الدبلوماسية تبرز تقدماً بفضل تعيين الرئيس الألماني السابق هورست كوهلر مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة في آب/أغسطس 2017. وفي نيسان/أبريل 2018، قلّص مجلس الأمن الدولي الوقت الفاصل بين عمليات تجديد التفويض لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية من سنة إلى ستة أشهر؛ وبالتالي كان المبعوث يبلغ المجلس بالأوضاع هناك بتواتر أكبر، ما زاد من الضغوط على كلا الطرفين. عقد المغرب، وجبهة البوليساريو، والجزائر وموريتانيا اجتماعين أظهرتا علامات على تحقيق التقدم. إلا أن استقالة كوهلر المفاجئة في أيار/مايو 2019 وعودة مجلس الأمن في تشرين الأول/أكتوبر 2019 إلى تفويض بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية لمدة عام أوقف هذا الزخم. ومنذ ذلك الحين،

وضع كل من المغرب والبوليساريو شروطاً مسبقة على تعيين مبعوث جديد بدل كوهلر، حيث أفضت متطلبات الرباط الأكثر تشدداً فيما يبدو إلى مأزق.

بدأت التوترات بالتصاعد في منطقة الكركرات، حيث يمر طريق يصل بين المغرب وموريتانيا عبر الصحراء الغربية وعبر شريط عازل خاضع لمراقبة الأمم المتحدة يفصل بين القوات المغربية ومقاتلي البوليساريو. مستفيداً من الفراغ الدبلوماسي الذي تركته استقالة كوهلر، دعا المغرب عدة حكومات أفريقية وشرق أوسطية لفتح قنوات داخل الصحراء الغربية. ورداً على ذلك، وصف مسؤولو ونشطاء البوليساريو التحرك فوراً بأنه عودة إلى الحرب. وقام مدنيون من أنصار البوليساريو (وانضم إليهم مسلحون) بقطع الطريق الرئيسي الذي يمر بالكركرات، ونصبوا مخيماً في أواخر تشرين الأول/أكتوبر 2020، الأمر الذي أشعل شرارة استئناف الأعمال العدائية. في 13 تشرين الثاني/نوفمبر، أرسل المغرب قوات إلى داخل الشريط العازل لفتح الطريق. رداً على ذلك، بدأت البوليساريو صراعاً منخفض الشدة مع المغرب، رغم تأكيد الرباط على دعمها لاستمرار وقف إطلاق النار.

معظم الجهات الفاعلة الدولية دعمت العودة إلى وقف إطلاق النار أو وقفت إلى جانب المغرب. وفي الوقت نفسه، امتنع مجلس الأمن الدولي عن مناقشة الصراع الناشئ، ما أجبب الهدف الذي كانت ترمي إليه البوليساريو بجذب انتباه العالم لقضيتها. رأت الرباط في اعتراف الولايات المتحدة في 10 كانون الأول/ديسمبر بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية تأكيداً لصحة استراتيجيتها. لكن تحرك إدارة ترامب زاد من استعداد الصحراويين المؤيدين للاستقلال، خصوصاً الشباب الصحراوي، الذي فقد الأمل منذ أمد طويل في التوصل إلى حل سياسي للصراع.

لا يجوز أن يكون انخفاض حدة الصراع مبرراً لعدم القيام بفعل حياله. فثمة مخاطرة متواضعة لكن ملموسة بحدوث تصعيد عسكري تدريجي يمكن أن يفاقم من زعزعة الاستقرار في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل. إذ يمكن أن يندلع قتال أكثر شدة بسبب حادث عسكري، تدخل جزائري – على سبيل المثال، رفع وتيرة نقل الأسلحة من الجزائر إلى البوليساريو – أو حدوث تحول في التكتيكات العسكرية للحركة المطالبة بالاستقلال. من أجل الحد من المخاطر، ينبغي على حلفي المغرب الخارجيين – الولايات المتحدة وفرنسا – دفع الرباط للقبول دون شروط مسبقة بمبعوث أممي جديد يكلف بالتفاوض على خفض للتصعيد يمكن أن يفضي إلى مفاوضات بشأن التوصل إلى هدنة.

يمكن لمثل هذه المقاربة أن تنجح فقط إذا اتبعت الولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي مقاربة أكثر انخراطاً. قد تحجم إدارة بايدن عن التراجع عن اعتراف ترامب بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية. لكن حتى لو لم تفعل ذلك، يمكنها أن تجد وسائل أخرى لطمأنة البوليساريو، على سبيل المثال عن طريق العودة إلى دعم واشنطن السابق لتجديد تفويض بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية بشكل نصف سنوي. ولتفادي استعداد المغرب، ينبغي أن تحتوي قرارات مجلس الأمن الدولي إشارة صريحة إلى الحاجة إلى ترتيب مقبول من الطرفين لحماية طريق الكركرات باعتباره طريقاً آمناً. يمكن لهذه الترتيبات أن تدشن مرحلة جديدة من الدبلوماسية. وينبغي على إدارة بايدن أن تتسق موقفها بشكل وثيق وأكثر وقدر أكبر من الشفافية مع دول أخرى معنية بحصيلة الصراع، أي فرنسا، وروسيا والجزائر. من شأن التنسيق الأفضل على هذا المستوى أن ينهي القتال وأن يطلق جهود صنع السلام.

II. وضع راهن غير مستدام على نحو متزايد

يعود الصراع بأصوله إلى انسحاب إسبانيا في عام 1975 من الصحراء الغربية، التي كانت حينذاك أكبر مستعمراتها الأفريقية المتبقية. ادعى المغرب وموريتانيا كلاهما بأحقية بالمنطقة. وسعت جبهة البوليساريو إلى استقلالها، وكانت قد بدأت صراعاً مسلحاً ضد إسبانيا عام 1973. في 7 تشرين الثاني/نوفمبر 1975، حشد الملك المغربي الحسن الثاني نحو 350,000 مواطن غير مسلح للعبور إلى المناطق التي كانت تسيطر عليها إسبانيا لفرض ادعاء بلده بحق السيطرة عليها. أجبرت هذه "المسيرة الخضراء"، كما سماها الملك، أجبرت إسبانيا على الرضوخ – أي بدلاً من أمر جنودها بإطلاق النار على المتظاهرين، قررت مدريد الرحيل.

أنهت اتفاقات مدريد التي تم التوصل إليها في تشرين الثاني/نوفمبر 1975 رسمياً السيطرة الإسبانية على الصحراء الغربية وتركت نحو ثلثي المنطقة للمغرب وثلثها لموريتانيا. جبهة البوليساريو الداعية إلى الاستقلال والجزائر رفضتا الاتفاق. تبع ذلك حرب حقت فيها البوليساريو نجاحات عسكرية مبكرة، مثل إجبار موريتانيا على الانسحاب في عام 1979، رغم لجوء آلاف الصحراويين إلى مناطق قريبة من تندوف

في الجزائر. لكن في السنوات التالية، عزز المغرب سيطرته على معظم الصحراء الغربية بشكل أساسي بفضل بنائه لنظام من الجدران الدفاعية المعروفة بـ "الجدار الرملي". في عام 1991، وفيما بدا على أنه مأزق عسكري، اتفق الطرفان على خطة تسوية بوساطة من الأمم المتحدة. فرضت هذه المبادرة وفقاً لإطلاق النار قسّم المنطقة على امتداد الجدار الرملي وأنشأ شريطاً عازلاً ومنطقة محظورة تفصل بين الطرفين.¹ كما هدفت إلى تسوية النزاع عبر إجراء استفتاء على تقرير المصير يتم تنظيمه من قبل بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية. لكن، وبسبب المناورات السياسية التي قام بها المغرب وتفسيرات الطرفين المتعارضة للخطة، لم يتم إجراء الاستفتاء. وبعد أن أخفق عدة مبعوثين للأمم المتحدة في محاولاتهم لإنعاش الاستفتاء، كشف المغرب عن خطة للحكم الذاتي في عام 2006 على أنها الحل الوسط الذي يقترحه. تنظر البوليساريو إلى خطة الحكم الذاتي على أنها تحرم السكان الصحراويين من حقهم في تقرير المصير. وأخفق عدد كبير من جولات المفاوضات بين الرباط والبوليساريو في تحقيق اختراق.²

أ. فقدان الزخم

وُلد تعيين الرئيس الألماني السابق هورست كوهلر في آب/أغسطس 2017 مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة للصحراء الغربية زخماً جديداً في الجهود الدبلوماسية. عقد كوهلر سلسلة من الاجتماعات الاستكشافية بين أواخر عام 2017 ومطلع عام 2018. ثم استفاد من قرار مجلس الأمن الدولي في نيسان/أبريل 2018 بتجديد تفويض بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية لستة أشهر بدلاً من التمديد المعتاد لمدة عام.³ وبوصفها الطرف الميسر للمجلس بشأن هذه القضية، لعبت الولايات المتحدة الدور المحوري (حيث انخرط جون بولتون، الذي كان حينذاك مستشاراً للأمن القومي، شخصياً في تسوية الصراع).⁴ كانت الفكرة من تقصير أمد التفويض الضغط على جميع الأطراف من خلال مطالبة المبعوث بإبلاغ المجلس بالتطورات بشكل أكثر تواتراً.

دُكر أن الولايات المتحدة كانت مدفوعة بإحباطها من عدم تحقيق التقدم، والنهاية المفتوحة على نحو متزايد لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية والرغبة العامة بتقليص موازنة حفظ السلام في الأمم المتحدة.⁵ وعلى حد قول دبلوماسي أميركي: "لقد حان الوقت لتحقيق التقدم نحو حل سياسي، وبعد 27 عاماً، التوقف عن إدامة الوضع الراهن".⁶ رغم مقاومة العضوين الآخرين في مجموعة أصدقاء الصحراء الغربية، أي فرنسا وروسيا، استمرت التجديدات لمدة ستة أشهر بهدف دعم جهود الوساطة، حتى تشرين الأول/أكتوبر 2019.⁷

¹ قسّم وقف إطلاق النار الصحراء الغربية بحكم الأمر الواقع بين منطقة تقع إلى غرب الجدار الرملي يسيطر عليها المغرب (تساوي نحو 80% من المنطقة) ومنطقة منزوعة السلاح إلى الشرق، تشير إليها البوليساريو على أنها مناطقها المحررة.

² انظر Crisis Group Middle East and North Africa Report N°66, *Western Sahara: Out of the Impasse*, 11 June 2007 و Jacob Mundy and Stephen Zunes, *Western Sahara: War, Nationalism and Conflict Irresolution* (Syracuse, 2010).

³ قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2414 (2018).

⁴ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع المستشار السابق للمبعوث الأممي الخاص هورست كوهلر، ومع دبلوماسي في جبهة البوليساريو، وعامل في منظمة غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020. وتتفق هذه المصادر على أن تعيين بولتون في نيسان/أبريل 2018 أسهم بشكل حاسم في هذا التحول في موقف الولايات المتحدة. كان بولتون ملتزماً منذ أمد بعيد بتسوية نزاع الصحراء الغربية، بسبب دوره، على ما ذكر، كمساعد للمبعوث الأممي الخاص جيمس بيكر بين عامي 1997 و2000. ورأى على أن التجديدات المتكررة إلى ما لا نهاية لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية غير مقبولة. انظر أيضاً Jacques Roussellier, "A Role for Russia in the Western Sahara?", Carnegie Endowment for Peace, 5 June 2018.

⁵ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق للمبعوث الخاص للأمم المتحدة هورست كوهلر، كانون الأول/ديسمبر 2020. انظر أيضاً Dulcie Leimbach, "John Bolton cracks the whip on the UN mission in Western Sahara", Pass Blue, 15 May 2018.

⁶ Dibia Ike, "UN mission in Western Sahara renewed for only six months", *Africa News*, 1 November 2018.

⁷ "Western Sahara: Mandate Renewal", *Security Council Report*, 27 April 2018; and "La France souligne que le renouvellement de la Minurso pour seulement six mois 'doit rester une exception'", *Maroc.ma*, 28 April 2018. مجموعة أصدقاء الصحراء الغربية عبارة عن تجمع غير رسمي يتكون من الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا، وروسيا وإسبانيا، ويهدف إلى تنسيق المواقف حيال هذه القضية. جادلت

في حين رحبت البوليساريو بالمقاربة الجديدة بوصفها فرصة لإعادة تسريع المفاوضات، بدأ المغرب أقل حرصاً على تعديل الوضع الدبلوماسي الراهن.⁸ ومن أجل طمأنة الرباط، وضعت الولايات المتحدة وفرنسا نصاً في نيسان/أبريل 2018 وفي قرارات مجلس الأمن التالية تعكس منظورهما. وأشار النص إلى "الحاجة لتحقيق حل سياسي واقعي، وعملي ودائم"، اعتبرته البوليساريو والمراقبين الآخرين إقراراً ضمناً لخطة الحكم الذاتي التي طرحها المغرب عام 2006.⁹ كما احتوى القرار نفسه فقرتين عمليتين تشيران إلى البوليساريو بشكل خاص على أنها تنتهك اتفاق وقف إطلاق النار في منطقة الكركرات وتخطط لنقل الوظائف الإدارية للجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية القائمة بحكم الأمر الواقع إلى بئر لحلو، داخل الصحراء الغربية.¹⁰

رغم ذلك بدأ أن المفاوضات تحقق زخماً؛ حيث نظم كوهلر أول جولة من المحادثات في جنيف في كانون الأول/ديسمبر 2018. ووصف مستشار سابق لكوهلر الجو بأنه إيجابي، حيث سادت المحادثات لهجة "جيدة وودية".¹¹ كانت تلك أول جولة محادثات تتوسط بها الأمم المتحدة بين المغرب والبوليساريو منذ ست سنوات. حصل المغرب على تنازل مهم، حيث نُظِم الاجتماع على شكل "طاولة مستديرة"، شاركت فيها الجزائر وموريتانيا؛ إذ تعتبر الرباط الصحراء الغربية قضية إقليمية تقوم فيها البوليساريو بدور الوكيل للجزائر. ولذلك أرادت حضور الجزائر وموريتانيا على الطاولة بالنظر إلى أنهما كانتا قد رفضتا الانضمام إلى المباحثات سابقاً، فالتنن إن الصراع قضية ثنائية بين المغرب والبوليساريو بشأن نزع الاستعمار.¹² عُقد اجتماع ثانٍ في آذار/مارس 2019، أيضاً في جنيف، لكن هذه المرة كان المزاج أكثر توتراً.¹³ لم يحقق أي من الاجتماعين اختراقاً، لكن سمح كل منهما باستمرار المحادثات، كما تم إبرازه في البيان المشترك الصادر في ختام الجولة الثانية.¹⁴ لكن الديناميكية الإيجابية وصلت إلى نهاية مفاجئة عندما استقال كوهلر في 22 أيار/مايو 2019 لأسباب صحية على ما ذكر.¹⁵

فرنسا بأن التمديدات لمدة عام كانت أفضل ضمانة لاستقرار بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، في حين أن روسيا انتقدت الولايات المتحدة لعدم إجراء استشارات حول صياغة القرار. انظر UN Security Council Meeting Record S/PV.8246.

⁸ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي فرنسي، وصحفي مغربي، الرباط، شباط/فبراير 2020.
⁹ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، وأحد العاملين في منظمة غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2020. انظر أيضاً قراراي مجلس الأمن الدولي رقم 2414 (2018) و2351 (2017).

¹⁰ قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2414 (2018). في 4 كانون الثاني/يناير 2018، دخلت مجموعة صغيرة من العسكريين التابعين للبوليساريو إلى الشريط العازل في منطقة الكركرات لتأسيس محطة مراقبة تبعد 500 متر عن موقع المراقبة العائد لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية. انظر تقرير الأمين العام حول الوضع المتعلق بالصحراء الغربية" (S/2018/277).

¹¹ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق لكوهلر، كانون الأول/ديسمبر 2020.
¹² مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق لكوهلر، ومع دبلوماسي مغربي، كانون الأول/ديسمبر 2020 وكانون الثاني/يناير 2021؛ ومقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي جزائري، الجزائر العاصمة، كانون الأول/ديسمبر 2020. من منظور الجزائر وموريتانيا، فإن المغرب قوة احتلال في الصحراء الغربية والبوليساريو تمثل شعباً مستعمرأ له حق تقرير المصير. والمشاركة في المفاوضات بأي صفة غير صفة المراقبين ستشكل قبولاً، ولو ضمناً، بموقف المغرب القائل بأن أطرافاً ثالثة لها مصلحة في الوضع النهائي للمنطقة وأن أموراً أخرى غير ما يفضله الشعب الصحراوي من شأنها أن تقرر ذلك الوضع.

¹³ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق لكوهلر، كانون الأول/ديسمبر 2020.
¹⁴ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، وعامل في منظمة غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر - كانون الأول/ديسمبر 2020. انتهت جولة جنيف التي انعقدت في آذار/مارس 2019 ببيان مشترك جاء فيه: "رحبت الوفود بالزخم الجديد المتولد عن الاجتماع الأول للطاولة المستديرة في كانون الأول/ديسمبر من العام الماضي والتزمت بالاستمرار في الانخراط في العملية بطريقة جديّة ومحترمة. واتفقت الوفود على أن ثمة حاجة لبناء المزيد من الثقة". وطبقاً لمسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، فإن مسؤولي البوليساريو أمحوا على هامش اجتماعات جنيف إلى أنهم مستعدين لمناقشة الخيارات التي كانت تعتبر في السابق محرمة، مثل خطة الحكم الذاتي التي اقترحتها المغرب عام 2006. وعلى حد تعبير المسؤول: "أقر مسؤولو البوليساريو بأن الحل سيكون شكلاً من أشكال السيادة المغربية، لكن المهم بالنسبة لهم كانت تفاصيل الترتيبات والضمانات الدولية بعدم تراجع المغاربة عن التزاماتهم". مصادر البوليساريو تنكر هذا الادعاء، الذي يقولون إنه لا يعكس الموقف الرسمي. مراسلة أجرتها مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني مع مسؤولين في البوليساريو، آذار/مارس 2021.

¹⁵ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق لكوهلر، كانون الأول/ديسمبر 2020. مصادر مؤيدة للبوليساريو ووسيلة إعلام مغربية ادعت بأن ضغوط الرباط هي التي دفعت كوهلر إلى الاستقالة بسبب الخلافات

في أعقاب رحيل كوهلر، اندفع كل من المغرب والبوليساريو لوضع شروط على تعيين مبعوث جديد للأمم المتحدة. طبقاً لدبلوماسي في البوليساريو، فإن الحركة كان تريد فقط شخصاً "حيادياً وملتزماً ومن عيار ثقيل".¹⁶ ورسمياً، لم تطالب المغرب أيضاً بأكثر من شخصية بارزة ومرموقة للمهمة.¹⁷ إلا أن عدداً من المصادر المؤيدة للبوليساريو والحيادية تدعي أن الرباط قدمت شروطاً أكثر تحديداً وصرامة ترفض أي دبلوماسي من بلد اسكندنافي (بسبب تعاطف هذه الدول المزعوم مع قضية البوليساريو)، أو ألمانيا (بسبب أن التجربة مع كوهلر كانت قد أظهرت للرباط مدى صعوبة مقاومة برلين) أو من عضو دائم في مجلس الأمن الدولي (لتجنب الضغوط السياسية غير المواتية على المفاوضات).¹⁸

يذكر أن هذه الشروط شكلت تحدياً بالنسبة للأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في العثور على بديل مناسب لكوهلر،¹⁹ فقد ضيق شروط المغرب حلقة المرشحين المحتملين. إضافة إلى ذلك، يبدو أن سمعة الصحراء الغربية بوصفها صراعاً ثانوياً مستعصياً على الحل أسهم في إقناع دبلوماسيين دوليين بعدم تولي المنصب. على حد تعبير وزير خارجية سابق عُرض عليه المنصب: "لا أحد يريد أن يرتبط اسمه بفشل دبلوماسي".²⁰

في هذه الأثناء، فإن تزايد الشكوك حيال إمكانية تسوية الصراع دفعت مجلس الأمن الدولي إلى العودة إلى التجديد التقليدي لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية لمدة عام. غادر بولتون إدارة ترامب في أيلول/سبتمبر 2019، وبالنظر إلى شعورها بالإحباط حيال الوضع، تخلت واشنطن في الشهر التالي عن فكرتها بتقصير أمد التجديدات، وقبلت بمطلب فرنسا القديم بالتجديد لمدة سنة.²¹ رغم تذر البوليساريو، وروسيا وجنوب أفريقيا، فإن النص حول "حل سياسي واقعي، وعملي ودائم"، الذي كان يهدف إلى تهدئة مخاوف المغرب فيما يتعلق بالتفويضات الأقصر لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ظل موجوداً في قراره تجديد البعثة في تشرين الأول/أكتوبر 2019 وتشرين الأول/أكتوبر 2020.²²

ب. التطورات على الأرض

بموازاة استقالة كوهلر وعودة مجلس الأمن الدولي إلى ممارسته الدبلوماسية التقليدية، سرّح المغرب من وتيرة خلقه للحقائق على الأرض. وتمثل التحرك الرئيسي للرباط بدعوة دول أفريقية وشرق أوسطية صديقة لفتح قنوات لها في الصحراء الغربية. وكانت أول دولة تتخذ هذه الخطوة ساحل العاج، التي دشنت قنصليتها الفخرية في العيون في حزيران/يونيو 2019.²³ وتلتها جزر القمر، فافتتحت أول قنصلية عامة أجنبية في

المستمرة حول المشاركة المحتملة للاتحاد الأفريقي في المفاوضات. مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في منظمة غير حكومية دولية، ونشطاء أوروبيين مؤيدين للبوليساريو، كانون الأول/ديسمبر 2020. انظر Mohamed Jaabouk, "Sahara: Le Maroc a-t-il joué un rôle dans la démission d'Horst Köhler?", Yabiladi.com, 23 May 2019.

¹⁶ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

¹⁷ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، كانون الثاني/يناير 2011.

¹⁸ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في منظمة غير حكومية دولية، كانون الأول/ديسمبر 2020، ومقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي أميركي، ودبلوماسي فرنسي، الرباط، شباط/فبراير 2020؛ ومقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، وعامل في منظمة غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020. الدبلوماسيون المغاربة ينكرون أن الرباط فرضت مثل تلك الشروط.

¹⁹ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، وعامل في منظمة غير حكومية دولية، ودبلوماسي فرنسي، ودبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020 وكانون الثاني/يناير – شباط/فبراير 2021.

²⁰ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع وزير خارجية سابق، تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

²¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، شباط/فبراير 2020. مستشار سابق لكوهلر ومصادر مؤيدة للبوليساريو أشارت إلى أن استقالة بولتون في أيلول/سبتمبر 2019 كانت عاملاً رئيسياً وراء التحول. مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مستشار سابق لكوهلر، ودبلوماسي في البوليساريو، وعامل في منظمة غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020. روسيا وجنوب أفريقيا عارضتا هذا القرار، لأنهما اعتبرتا أنه تحركاً أحادياً لا يأخذ في الاعتبار التقدم المحرز في عملية السلام. انظر محضر اجتماع مجلس الأمن الدولي S/PV.8561.

²² قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2494 (2019) و2548 (2020).

²³ Fahd Iraqi, "Maroc: El Imam Maelainin, un notable sahraoui pour représenter la Côte d'Ivoire à Laâyoune", *Jeune Afrique*, 1 July 2019.

الصحراء الغربية في كانون الأول/ديسمبر 2019.²⁴ في الشهور التي تلت، فعلت مجموعة من الحكومات الأفريقية الشيء نفسه.²⁵ في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، أصبحت الإمارات العربية المتحدة أول دولة عربية تفتتح قنصلية لها في الصحراء الغربية.²⁶ من منظور الرباط، فإن حالات التمثيل الدبلوماسي هذه ساعدت على تأكيد حقها في السيادة على المنطقة.²⁷ احتج الأمين العام للبوليساريو إبراهيم غالي على فتح هذه القنصليات، واصفاً إياها بأنها "انتهاك للوضع القانوني الدولي للصحراء الغربية بوصفها منطقة لا تحكم نفسها".²⁸

كان فتح القنصليات ثمرة استراتيجية مغربية طموحة لتعميق العلاقات السياسية والاقتصادية مع أفريقيا جنوب الصحراء. وعلى مدى السنوات الماضية، زادت الرباط بشكل كبير استثماراتها في التجارة مع باقي أنحاء القارة، خصوصاً غرب أفريقيا.²⁹ في عام 2017، عاد المغرب إلى الانضمام إلى الاتحاد الأفريقي. كانت الرباط قد تركت منظمة الوحدة الأفريقية (الاسم السابق للمنظمة) عام 1984 احتجاجاً على قبول المنظمة لعضوية الجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية فيها، وهو الاسم الذي تطلقه البوليساريو على دولتها القائمة بحكم الأمر الواقع شرق الجدار الرملي. ولدى انضمامه إلى الاتحاد الأفريقي، تعهد المغرب بالعمل على طرد "شبه دولة" البوليساريو من صفوف المنظمة.³⁰ وقد استعملت الرباط علاقاتها الجديدة لإقناع حكومات أفريقية منفردة بسحب اعترافها بالجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية القائمة بحكم الأمر الواقع.³¹

بموازاة هذا الهجوم الدبلوماسي، أقر المغرب قانونين في كانون الثاني/يناير 2020 لرسم حدوده المائية ورسم منطقة اقتصادية خالصة على ساحل الصحراء الغربية. وأشار وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة إلى أن هذا التشريع كان يهدف جزئياً إلى إعادة تأكيد السيادة المغربية على "حدودها الفعلية، البحرية والبرية".³² رفضت البوليساريو هذا التحرك.³³

بمواجهة هذا المأزق في الأمم المتحدة ورداً على تحركات المغرب لخلق وقائع على الأرض، بدأت جبهة البوليساريو بإعادة تقييم خياراتها. أدان رئيس وزراء الجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية حينذاك، محمد والي أكيك، وهو منتقد بارز للمأزق الدبلوماسي، بشكل متكرر الإهمال الدولي للصراع ودعا الحركة إلى استئناف الأعمال القتالية ضد المغرب.³⁴ كما انتقد وقف إطلاق النار، مشيراً إلى أن المفاوضات ينبغي أن تجرى بالتوازي مع القتال.³⁵ ونتيجة إحباطهم من المأزق الدبلوماسي، فقد كثير من الصحراويين،

²⁴ "Maroc: les Comores ouvrent un consulat à Laayoune", *Jeune Afrique/AFP*, 20 December 2019

²⁵ بين كانون الثاني/يناير وتشرين الأول/أكتوبر 2020، فتحت الدول الأفريقية الأتية قنصليات لها في الصحراء الغربية: غامبيا، والغابون، وغينيا، وساحل العاج (هذه المرة افتتحت قنصلية عامة)، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وساو تومي وبرينسيبي، وبوروندي، وجيبوتي، وليبيريا، وبوركينا فاسو، وغينيا الاستوائية، وغينيا بيساو، وإسواتيني وزامبيا.

²⁶ "UAE inaugurates consulate in Morocco's Western Sahara", *The National*, 4 November 2020.

²⁷ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، وصحفي مغربي، كانون الأول/ديسمبر 2020.

²⁸ "Situation concerning Western Sahara", Report of the UN Secretary-General, S/2020/938, 23 September 2020.

²⁹ انظر Isabelle Werenfels, "Maghrebi Rivalries over Sub-Saharan Africa", SWP, November 2020

و Youssef Tobi, "Morocco's Strategy in Africa: Rooting Back", RUSI, 23 May 2019.

³⁰ Jacques Roussellier, "Morocco Brings the Western Sahara Issue Back to the AU", Carnegie Endowment for International Peace, 31 January 2017.

³¹ في جميع أنحاء العالم، ألغت 31 دولة وعلقت 8 دول اعترافها بالجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية. من بين هذه الدول، ألغت 12 دولة أفريقية وعلقت ثلاث دول أفريقية اعترافها. توفر جامعة سانتياغو دي كومبوستيلا عرضاً موثقاً على موقعها للاعترافات بالجمهورية الديمقراطية العربية الصحراوية.

³² "Le Maroc intègre les eaux du Sahara occidental à son espace maritime, colère du Polisario",

Javier Otazu, "La delimitación de las aguas territoriales marroquíes", France Info, 23 January 2020

en ocho puntos", *La Vanguardia*, 22 January 2020.

³³ "Le Maroc étend son emprise aux eaux territoriales du Sahara occidental", Radio France Internationale, 24 January 2020.

³⁴ "Situation concerning Western Sahara", Report of the UN Secretary-General, S/2019/787, 2 October 2019.

³⁵ Gorka Andracka, "Mohamad Elouali, primer ministro de la RASD: 'Si no hay guerra a nadie le preocupa lo que ocurra com el pueblo saharai'", *El Salto*, 15 December 2019.

خصوصاً النساء (الإداريات والمدرسات في المخيمات) وسكان المخيمات من الشباب، الثقة في المفاوضات وانتقدوا عدم إجراء التغييرات في قيادة المنظمة.³⁶ كما أسهمت ندرة فرص التوظيف للشباب الحاصل في كثير من الأحيان على درجة عالية من التعليم في تنامي الإحباط لديهم. وتنامي الضغط على قيادة البوليساريو العجوز لاستئناف القتال.³⁷

تمثل أحد المعالم البارزة في المؤتمر الخامس عشر لجبهة البوليساريو، الذي انعقد في كانون الأول/ديسمبر 2019 في تيفاريتي، داخل الصحراء الغربية. وعلى مدى عدة أيام، تركز النقاش على كيفية الرد على الظروف السياسية المتدهورة، حيث انقسم النشاط بين مؤيدي العمل العسكري والمدافعين عن الدبلوماسية. في حين أن الفريق الأول حشد الدعم للقيام فوراً بتحديد موعد لاستئناف الأعمال القتالية، جادل الفريق الأخير بأن الجبهة لم تكن في موقع يمكنها من شن هجوم عسكري.³⁸ الأمين العام غالي، الذي أعيد انتخابه في المؤتمر، تبني موقفاً وسطاً بين خيارَي الفريقين، حيث أكد على التزام الحركة بالدبلوماسية لكنه هدد بـ "إعادة النظر بانخراطها في عملية السلام".³⁹

III. العودة إلى الحرب

أ. انتهاء وقف إطلاق النار في الكركرات

في النهاية، وجدت التوترات بين جبهة البوليساريو والرباط وداخل صفوف الحركة لنفسها مخرجاً في المناوشات التي جرت على طريق الكركرات، الذي يربط المغرب بموريتانيا عبر الصحراء الغربية، والذي يعبر من خلال شريط عازل تراقبه الأمم المتحدة. منذ قيام الرباط بتعبيد هذا الطريق الصحراوي عام 2016 (ونشرها للدرك داخل المنطقة العازلة في انتهاك لوقف إطلاق النار)، أصبح الطريق أكثر نقطة استنزاف حساسة بين الجانبين، حيث يتكرر وقوع الحوادث كل عام منذ ذلك الحين.⁴⁰ بفضل علاقات المغرب التجارية المتنامية مع موريتانيا وأجزاء أخرى من غرب أفريقيا، اكتسب الطريق أهمية متزايدة، وبالتالي أصبح أكثر حساسية بالنسبة للرباط. البوليساريو، من جهتها، ترفض ما ترى فيه تعديلاً أحادياً لوقف إطلاق النار، لأن الطريق يخترق جزءاً من المنطقة العازلة لم تشمله اتفاقية عام 1991.⁴¹ وطبقاً لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، فإن الفترة الواقعة بين تشرين الأول/أكتوبر 2019 وأيار/مايو 2020 شهدت زيادة في عدد المظاهرات التي يخرج فيها مدنيون من أنصار البوليساريو وتوغلات عسكرية في هذه المنطقة، احتج عليها المغرب للأمم المتحدة بشكل متكرر.⁴²

وصلت الأمور إلى نقطة الانهيار في 21 تشرين الأول/أكتوبر 2020، عندما نصبت مجموعة من المدنيين من أنصار البوليساريو مخيماً ومنعت المرور على طريق الكركرات، وانضم إليها عدد صغير من مقاتلي

نظره بشأن وقف إطلاق النار مسؤولين آخرين في البوليساريو، مثل عمر منصور. Gemma Saura, "La Guerra tienta a los saharauis", *La Vanguardia*, 29 Décembre 2019. الموقف يحظى بدعم الأغلبية داخل جبهة البوليساريو.

³⁶ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين في منظمات غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. رئيس الوزراء السابق محمد والي أكيك اعترف أيضاً باتساع الفجوة بين الشباب الصحراوي ومعظم مسؤولي البوليساريو، ووعدهم بإجراء تغييرات تدريجية في صفوف المنظمة. انظر Andraka, "Mohamad Elouali, primer ministro de la RASD", op. cit.

³⁷ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين في منظمات غير حكومية دولية، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. ³⁸ Jose Carmona, "Espejismos de guerra en el Sáhara", *Público*, 20 December 2019; and Andraka, "Mohamad Elouali, primer ministro de la RASD", op. cit.

³⁹ "Brahim Ghali to Guterres: UN must do more to restore the confidence of our people in the UN peace process in Western Sahara", Sahara Press Service, 30 December 2019.

⁴⁰ انظر Hannah Armstrong, "The Youth Movement in Sahrawi Refugee Camps", Crisis Group Commentary, 25 April 2018. "Situation in Western Sahara", Reports of the UN Secretary-General, S/2017/307, S/2018/277, S/2018/889, S/2019/282, S/2019/787.

⁴¹ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، وصحفي مغربي، ودبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

⁴² مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. انظر أيضاً "الوضع في الصحراء الغربية"، تقرير للأمين العام للأمم المتحدة، S/2020/938.

البوليساريو، الذين شكل وجودهم انتهاكاً لوقف إطلاق النار.⁴³ في اختلاف عن حوادث سابقة، رفض المتظاهرون محاولات بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية التوسط، واشتكوا من عدم اهتمام الأمم المتحدة بالصراع.⁴⁴ وعلى مدى أسبوعين، تقدم المغرب باحتجاجات إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية بشأن قطع الطريق. ثم، في أعقاب خطاب الملك محمد السادس حول الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء، بدأ المغرب بحشد القوات داخل المنطقة المحظورة التي يبلغ عرضها 30 كم، في انتهاك أيضاً لوقف إطلاق النار.⁴⁵ وبعد محاولة فاشلة للوساطة من قبل الأمين العام للأمم المتحدة، دخلت القوات المنطقة العازلة في 13 تشرين الثاني/نوفمبر لإعادة فتح الطريق.⁴⁶ في حين استعمل الطرفان نيران الأسلحة الثقيلة، لم يسقط ضحايا، حيث انسحب المدنيون ومقاتلو البوليساريو مباشرة تقريباً.⁴⁷ في 14 تشرين الثاني/نوفمبر، أعلنت البوليساريو انتهاء وقف إطلاق النار واستئناف الأعمال القتالية ضد المغرب.⁴⁸

في الأسابيع التي تلت، هاجم الجناح العسكري للبوليساريو، جيش التحرير الشعبي الصحراوي، بشكل متكرر المواقع الدفاعية المغربية على طول الجدار الرملي، من مسافة بعيدة عادة وبتأثر محدودة.⁴⁹ ظل رد الجيش المغربي محدوداً، دون أن يحاول حتى الآن مطاردة الوحدات المعادية أو إطلاق عملية كبرى. وفي حين ينكر المغرب تكبد أي خسائر بشرية، فإن مصادر الأمم المتحدة تشير إلى أن جنديين على الأقل قتل خلال الأسبوع الأول من القتال.⁵⁰

يتعارض ضبط النفس النسبي الذي يمارسه المغرب مع الحشد الصحراوي القوي سواء في مخيمات اللاجئين أو في الخارج. وقد تمثلت استراتيجية الرباط في إعلان دعمها المستمر لوقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه عام 1991 والتقليل من أهمية الصدمات العسكرية، فيما يرقى إلى مقاربة "لا نرى شيئاً هنا، تابعوا التحرك".⁵¹ إلا أن العودة إلى الحرب بعثت الحيوية في الشباب الصحراوي في المخيمات وفي الخارج، وقد أعادت البوليساريو تفعيل شبكات التضامن الدولي معها لجذب الانتباه إلى الصراع.⁵² ادعى ناشط صحراوي

43 مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. تكونت المجموعة من 15 إلى 20 مقاتلاً ومعهم أربع سيارات نصبت عليها أسلحة (رشاشان ومدفعان مضادان للطائرات). جادلت البوليساريو بأن المقاتلين كانوا موجودين لحماية المدنيين.

44 مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

45 مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ومع دبلوماسي مغربي، ودبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020. وطبقاً لدبلوماسي مغربي، فإن الرباط اتخذت قرار التدخل مباشرة بعد خطاب الملك. انظر "Le Discours de SM le Roi Mohamed VI à l'Occasion du 45ème Anniversaire de la Marche Verte", EcoActu, 7 Novembre 2020.

46 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ومع دبلوماسي مغربي، ودبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

47 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ومع دبلوماسي مغربي، وصحفي مغربي، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

48 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ومع دبلوماسي في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. انظر "Polisario leader says Western Sahara ceasefire with Morocco is over", Reuters, 14 November 2020.

49 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ودبلوماسيين في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. انظر أيضاً الإعلانات اليومية التي تنشرها وكالة الأنباء الصحراوية التي تفصل هجمات جيش التحرير الشعبي الصحراوي على طول الجدار الرملي. مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية تحدث عن صور التقطتها الأقمار الصناعية تظهر نحو 240 حفرة أحدثتها القذائف قطر كل منها 14 متراً في منطقة قرب الحدود مع الجزائر. وقال المسؤول إن الحفر تشكل دليلاً على القصف المغربي رداً على هجمات البوليساريو.

50 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

51 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، ومع دبلوماسي مغربي، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

52 مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط أوروبي مؤيد للبوليساريو، كانون الأول/ديسمبر 2020.

أن الشباب في الصحراء الغربية التي يسيطر عليها المغرب حاولوا الخروج إلى الشوارع لإظهار تضامنهم مع البوليساريو، لكن قوات الأمن المغربية سارعت إلى قمع محاولاتهم.⁵³

ب. هدوء كامل على الجبهة الدولية

رغم التعبئة التي تمارسها البوليساريو، فإن معظم ردود الفعل الدولية على الأحداث في الصحراء الغربية إما عكست الدعم لعودة سريعة إلى وقف إطلاق النار و/أو اصطفت إلى جانب الموقف المغربي. وزارة الخارجية الفرنسية عبرت عن قلقها حيال الوضع، بينما امتدحت "التزام المغرب بوقف إطلاق النار".⁵⁴ إسبانيا وروسيا دعتا كلا الطرفين إلى الالتزام بوقف إطلاق النار، في حين ظلت الولايات المتحدة صامتة حتى 8 كانون الأول/ديسمبر، عندما علق وزير الخارجية مايك بومبيو قائلاً إن الصراع "لا ينبغي تسويته عبر الوسائل العسكرية، بل من خلال مجموعة من النقاشات".⁵⁵

وكان رد فعل الدول المجاورة حذراً على نحو مماثل أيضاً من أجل تحاشي إذكاء العمليات القتالية. الجزائر، وهي لاعب مهم في الصراع من خلال دعمها للبوليساريو، دعت كلا الطرفين بحذر لممارسة ضبط النفس.⁵⁶ ويقول الدبلوماسيون الجزائريون إن مقاربتهم تعكس رغبتهم بتحاشي حدوث تصعيد عسكري من شأنه أن يفاقم من زعزعة استقرار المنطقة.⁵⁷ وعلى نحو مماثل، دعت موريتانيا كلا الطرفين لإظهار ضبط النفس واحترام وقف إطلاق النار.⁵⁸

مجلس الأمن الدولي، من جهته، لم يتخذ أي إجراء حيال الوضع العسكري في الصحراء الغربية؛ حيث انعقد في اجتماع تشاوري واحد خلف أبواب مغلقة في 21 كانون الأول/ديسمبر، بعد أكثر من شهر من استئناف الأعمال القتالية.⁵⁹ عدم اتخاذ أي إجراء ناسب المغرب لكنه أغضب مسؤولي البوليساريو، إذ إنه أحبط رغبتهم بجذب الاهتمام الدولي بالقضية.⁶⁰ دبلوماسي فرنسي شرح قائلاً إن عدم اتخاذ مجلس الأمن لأي إجراء مرده إلى انخفاض حدة الاشتباكات، بالنظر إلى أن القتال حتى الآن لم يشكل تهديداً للسلام والأمن الإقليميين.⁶¹ حتى جنوب أفريقيا، الداعمة للبوليساريو، والتي ترأست مجلس الأمن الدولي في كانون الأول/ديسمبر، أشارت إلى أنها لا تخطط لعرض المسألة على المجلس، حيث جادل دبلوماسيوها بأنهم يتوقعون أن تكون أي حصيلة لذلك في صالح المغرب.⁶²

⁵³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط في منظمة غير حكومية صحراوية، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020. ناشط صحراوي ادعى أيضاً أن الشرطة المغربية كانت تضطهد أنصار البوليساريو في الصحراء الغربية الخاضعة للسيطرة المغربية، وبشكل خاص اعتقال ومضايقة طالبة عمرها اثني عشر عاماً لوضعها علم البوليساريو على رداءها في المدرسة. وقال هذا الشخص إن نشطاء صحراويين آخرين لجأوا إلى الاختباء. دبلوماسيون وصحفيون مغاربة أنكروا هذه المزاعم. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، وصحفي مغربي، كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁵⁴ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي فرنسي، تشرين الثاني/نوفمبر 2020. انظر أيضاً "Sahara Occidental – Extrait du point de presse (17 novembre 2020)", French Ministry of Foreign Affairs, 17 November 2020.

⁵⁵ "Support for UN in guaranteeing ceasefire in Western Sahara", Spanish Ministry of Foreign Affairs, 13 November 2020; "Comment by the Information and Press Department on the developments in Western Sahara", Russian Ministry of Foreign Affairs, 13 November 2020; and Latifa Babas, "Guerguerate: Mike Pompeo says the conflict has to be resolved through a set of conversations", Yabiladi.com, 8 December 2020.

⁵⁶ "L'Algérie déplore vivement les graves violations du cessez-le-feu dans la zone d'El-Guerguerat au Sahara Occidental", Algerian Ministry of Foreign Affairs, 13 November 2020.

⁵⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسيين جزائريين، الجزائر العاصمة، كانون الأول/ديسمبر 2020. ⁵⁸ موريتانيا تدعو الأطراف على الحدود الشمالية إلى التحلي ب ضبط النفس وتغليب الحكمة، الوكالة الموريتانية للأنباء، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

⁵⁹ Michelle Nichols, "U.N. Security Council talks Western Sahara after Trump policy switch", Reuters, 22 December 2020.

⁶⁰ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، ودبلوماسيين في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁶¹ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

⁶² مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي جنوب أفريقي، كانون الأول/ديسمبر 2020.

ج. اعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية

في هذه المناخ الدولي المؤاتي أصلاً، حققت الرباط نصراً دبلوماسياً كبيراً في 10 كانون الأول/ديسمبر، عندما أعلن الرئيس دونالد ترامب على تويتر الاعتراف الأميركي الرسمي بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية.⁶³ مقابل الاعتراف، وافق المغرب على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، ابتداءً بإعادة فتح مكاتب الارتباط في البلدين وربما وصولاً إلى التمثيل الدبلوماسي الكامل في مرحلة لاحقة.⁶⁴ إضافة إلى ذلك، عرضت الولايات المتحدة بيع ما قيمته مليار دولار من الطائرات المسيرة والأسلحة دقيقة التصويب للمغرب.⁶⁵ إن ربط ذلك بالتطبيع الدبلوماسي مع إسرائيل يعني أن إدارة بايدن، ورغم الدعوات في كلا الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة إلى التراجع عن هذا التحرك، ستجد صعوبة في العودة عن الاعتراف الأميركي بالسيادة المغربية دون تعريض علاقات الرباط بإسرائيل للخطر.⁶⁶

كان رد عدة حكومات سلبياً على إعلان ترامب. فروسيا أدانته بوصفه انتهاكاً للقانون الدولي.⁶⁷ وإسبانيا كررت التزامها بـ "مبادئ وقرارات الأمم المتحدة" بشأن النزاع.⁶⁸ رئيس الوزراء الجزائري عبد العزيز جراد أدان التطبيع مع إسرائيل ورفض اعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، داعياً إلى تطبيق القانون الدولي ومدافعاً عن الأعمال العسكرية للبوليساريو بوصفها "دفاعاً شرعياً عن النفس".⁶⁹

الموقف الفرنسي كان أكثر تدقيقاً. مسؤول فرنسي ودبلوماسي فرنسي سابق قالوا إن إعلان ترامب خلق مشكلة لباريس، بالنظر إلى أن الاعتراف الأميركي بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية يتناقض مع القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن الدولي. كما أنهم قلقون من أنه يمكن أن يشجع المغرب على الضغط على فرنسا لإصدار إعلان مماثل.⁷⁰ وفي الوقت نفسه، قالوا إن باريس قد تجد في الإعلان فرصة لإعادة إطلاق خطة الحكم الذاتي المغربية بوصفها أساساً لحل دائم للصراع.⁷¹

مسؤولو البوليساريو رفضوا إعلان ترامب بوصفه انتهاكاً غير مقبول للقانون الدولي.⁷² ناشط في منظمة غير حكومية صحراوية في الصحراء الغربية التي يسيطر عليها المغرب تحدث عن فقدان السكان المحليين الكامل للثقة في المجتمع الدولي وعن مخاطر متزايدة لاندلاع اضطرابات عنيفة.⁷³ لكن في حين رأت الحركة في الإعلان انتكاسة لفضيتها، فإنها اغتنمت الفرصة أيضاً لاجتذاب اهتمام إعلامي عالمي متجدد بالصراع الذي بات منسياً منذ أمد بعيد.⁷⁴ علاوة على ذلك، فمع تولي إدارة بايدن مهامها في الولايات المتحدة، عبّر

⁶³ "President Donald J. Trump Has Brokered Peace Between Israel and the Kingdom of Morocco", Trump White House Archive, 11 December 2020.

⁶⁴ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، كانون الأول/ديسمبر 2020. فتح المغرب وإسرائيل مكنتي ارتباط في عام 1994، لكن المغرب قطع العلاقات في عام 2000 رداً على الانتفاضة الثانية في الأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل.

⁶⁵ Patricia Zengerle and Mike Stone, "Exclusive: Trump administration moves forward with \$1 billion Moroccan arms deal", Reuters, 11 December 2020.

⁶⁶ "Inhofe, Leahy Lead 25 Colleagues to Urge Biden to Reverse Misguided Western Sahara Decision", official website of Senator James M. Inhofe, 17 February 2021.

⁶⁷ "Moscou condamne la décision américaine de reconnaître la souveraineté marocaine sur le Sahara Occidental", AFP, 11 December 2020.

⁶⁸ Mariela León, "España enarbola resoluciones de la ONU sobre el Sáhara Occidental ante el espaldarazo de Trump a Marruecos", Cambio16, 13 December 2020.

⁶⁹ "Sahara occidental: l'Algérie condamne des 'manoeuvres étrangères' visant à la déstabiliser", France 24, 12 December 2020.

⁷⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، ومع دبلوماسي فرنسي سابق، شباط/فبراير 2021.

⁷¹ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، شباط/فبراير 2021. انظر أيضاً "Maroc-Israël – Q&R – Extrait du point de presse (11 décembre 2020)", French Ministry of Foreign Affairs, 11 December 2020.

⁷² "W. Sahara 'does not belong' to Morocco, says Polisario Front, blasting Trump declaration", France 24, 11 December 2020.

⁷³ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط في منظمة غير حكومية صحراوية، كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁷⁴ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، كانون الأول/ديسمبر 2020.

دبلوماسيو البوليساريو عن تفاؤل حذر حيال احتمال العودة عن القرار ودفع الأمم المتحدة إلى الانخراط في وساطة تنهي الصراع.⁷⁵

في أعقاب الإعلان، أعلن المغرب قراره بإبقاء قواته في الكركرات بشكل دائم، رافضاً احتمال التفاوض على انسحاب مستقبلي. أعلنت الرباط هذا الموقف الجديد لجميع الأطراف المعنية، بما في ذلك في رسالة رسمية إلى الأمين العام للأمم المتحدة.⁷⁶ الوجود العسكري المغربي مصمم لحماية مرور البضائع عبر الحدود مع موريتانيا، لكنه يمثل انتهاكاً لاتفاق وقف إطلاق النار الذي يحظر دخول القوات المسلحة من أي من الطرفين إلى المنطقة المحظورة، ويتعارض مع الموقف الرسمي للرباط بالالتزام بالاتفاق. ونتيجة لذلك، أوضحت البوليساريو أنها سترفض الدخول في أي مفاوضات وقف إطلاق نار مستقبلية في ظل هذه الظروف.⁷⁷ وبالفعل، في 24 كانون الثاني/يناير 2021، وللمرة الأولى منذ انتهاء وقف إطلاق النار، قصفت قوات البوليساريو منطقة الكركرات وهددت بتصعيد الصراع عبر توسيع نطاق عملياتها.⁷⁸

IV. حان الوقت لإعادة الانخراط

لا ينبغي أن يكون انخفاض حدة الصراع في الصحراء الغربية مبرراً لعدم القيام بعمل. إن خطر اندلاع تصعيد عسكري كبير بين المغرب وجبهة البوليساريو متواضع، لكنه ليس منعماً. وتخاطر استراتيجية البوليساريو في القصف عن بُعد بحدوث ضربة توقع بالصدفة عدداً أكبر من المتوقع من الضحايا المغاربة، ما سيدفع بالمقابل إلى رد انتقامي على شكل هجوم يستهدف القواعد الخلفية للبوليساريو. وسيكون من الخطأ الافتراض أن الجزائر ستظل حيادية. فالجزائر تدعم استراتيجية الاستنزاف العسكري التي تتبعها البوليساريو.⁷⁹ في حين لا يوجد دليل على عمليات نقل جديدة للأسلحة من الجزائر من شأنها أن تحسن من قدرات جيش التحرير الشعبي الصحراوي، فإن الجزائر يمكن أن تلجأ إلى مثل عمليات النقل هذه في حال اندلاع قتال يؤدي إلى مقتل عدد كبير من مقاتلي البوليساريو، على سبيل المثال.⁸⁰ سيكون لمثل هذا التحرك تداعيات إقليمية.

كما أن الإهمال الدولي للصراع يمكن أن يكون له أيضاً تداعيات على الاستقرار الإقليمي. ففي غياب حل دبلوماسي، فإن الصحراويين المحبطين، خصوصاً الشباب، يمكن أن يجبروا جبهة البوليساريو على تغيير تكتيكاتها. قد تقوم بضرب منشآت عسكرية في الصحراء الغربية التي يسيطر عليها المغرب أو داخل المغرب، بدلاً من الاقتصار على أهداف على طول الجدار الرملي، كما فعلت حصرياً تقريباً حتى الآن.⁸¹ من شأن ذلك التصعيد أن يزعزع استقرار شمال أفريقيا ومنطقة الساحل، مع تبعات لا يمكن التنبؤ بها بالنسبة للمصالح الأميركية والأوروبية.

يشكل تعيين مبعوث خاص للأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية بداية ضرورية. إذا فرضت المغرب شروطاً مسبقة على التعيين، ينبغي على الولايات المتحدة وفرنسا دفع الرباط إلى التخلي عنها. ولن يكون المبعوث الخاص الجديد بنفسه قادراً على وقف القتال. لقد أوضح مسؤولو البوليساريو أنهم يريدون إعادة ضبط شروط

⁷⁵ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، كانون الثاني/يناير 2021. انظر أيضاً Habibulah Mohamed Lamin, "Polisario hopes Biden will cancel Trump's Western Sahara deal. If not, there's always war", *Middle East Eye*, 17 December 2020.

⁷⁶ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مغربي، ومع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، كانون الثاني/يناير 2021.

⁷⁷ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، كانون الثاني/يناير 2021.

⁷⁸ "Sahara: le Polisario promet l'escalade avec le Maroc", AFP, 24 January 2021.

⁷⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي جزائري، الجزائر العاصمة، كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁸⁰ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في بعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية، كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁸¹ في 9 شباط/فبراير 2021، ادعت جبهة البوليساريو بأنها نفذت هجوماً في وركيز، داخل المغرب، أدى إلى مقتل ثلاثة جنود. إذا تم تأكيد وقوع الهجوم، فإنه سيكون أول عملية تنفذها البوليساريو على الأراضي المغربية منذ ثلاثين عاماً. الرباط أنكرت الخبر. *Le Monde*, 10 February 2021.

عملية السلام قبل دراسة وقف إطلاق نار جديد.⁸² لكن في حين أن تغييراً كاملاً للشروط قد لا يكون واقعياً، إذا عادت الأمم المتحدة إلى الانخراط، فقد يتمكن المبعوث الخاص من التفاوض على خفض مؤقت للتصعيد من شأنه أن يمهد الطريق لمبادرات بشأن هدنة. بالمقابل، فإن مثل هذه الانفراجة يمكن أن تسمح باستئناف المفاوضات بين المغرب والبوليساريو (بمشاركة جزائرية وموريتانية) حول وضع المنطقة المتنازع عليها برمتها.

يمكن لهذه المقاربة أن تنجح فقط إذا ضاعفت الولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي الجهود بشكل كبير لتسوية الصراع. رغم الأصوات الصادرة من كلا الحزبين في الولايات المتحدة الداعية إلى التراجع عن اعتراف ترامب بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، فإن إدارة بايدن قد تجد أن ذلك أصعب سياسياً مما تستطيع تحقيقه. لكنها يمكن أن تجد وسائل لطمأنة البوليساريو أنه سيكون هناك مسار قابل للحياة إلى الأمام، وكسب أولئك المسؤولين الذين يرفضون الهدنة ويريدون التفاوض والاستمرار في القتال في الوقت نفسه.⁸³ على سبيل المثال، يمكن للولايات المتحدة أن تعود إلى دعمها السابق لتفويضات لبعثة الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد وتعديل النص المتعلق بـ "حل سياسي واقعي، وعملي ودائم" الذي ترى فيه البوليساريو موافقة على خطة الحكم الذاتي المغربية لعام 2006 في قرارات مجلس الأمن الدولي المستقبلية لتهدئة الجبهة. ولتفادي استعلاء المغرب، يمكن لهذه التغييرات أن تحدث بالتوازي مع إشارة صريحة إلى الحاجة إلى ترتيب مقبول من الطرفين لحماية سلامة طريق الكركرات.

يمكن لهدنة، مدعومة بمقاربة معدلة لمجلس الأمن الدولي حيال الصراع، أن تدشن مرحلة جديدة. وتمثل فترة عمل مبعوث الأمم المتحدة كوهلر، رغم تقصيرها، تذكيراً بأن الضغوط الدولية المستمرة على الطرفين يمكن أن تدفع الأمور إلى التحرك. وكما يحدث ذلك مرة أخرى، سيتربط على إدارة بايدن تنسيق موقفها بشكل وثيق أكثر وبدرجة أكبر من الشفافية مع الأعضاء الآخرين في مجموعة أصدقاء الصحراء الغربية، أي فرنسا وروسيا، إضافة إلى الجزائر. وحده الضغط الدولي المشترك يمكن أن يدفع المغرب وجبهة البوليساريو لاستئناف المفاوضات.

V. الخلاصة

يخاطر الإهمال الدولي للصحراء الغربية، الذي يفاقمه عدم اهتمام وسائل الإعلام الأجنبية، بارتفاع حدة التوترات العسكرية التي ظل من الممكن احتواؤها حتى الآن. لقد دفع التراخي حيال هذا الصراع المجدد منذ أمد طويل القوى العالمية إلى التقليل من شأن احتمال حدوث تصعيد وخلق الشروط المناسبة لتردي مواجهة قلقه إلى حرب منخفضة الشدة. لذلك، يتعين على مجلس الأمن الدولي التحرك للعمل الآن، إذ إن كلفة تأخير العمل يصعب تقديرها، لكن الوضع متقلب ويمكن أن يتدهور بسرعة.

الرباط/الجزائر العاصمة/بروكسل، 11 آذار/مارس 2021

⁸² مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسيين في البوليساريو، تشرين الثاني/نوفمبر – كانون الأول/ديسمبر 2020.

⁸³ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي في البوليساريو، كانون الأول/ديسمبر 2020. مسؤولون آخرون، مثل بشير مصطفى السيد، يتبنون هذا الموقف. انظر "La guerre de libération s'est déclenchée et ne s'arrêtera jusqu'à finir une fois pour toutes avec l'occupation marocaine" (Responsable sahraoui)", Sahara Press Service, 2 December 2020.

الملحق أ: خريطة الصحراء الغربية





International Crisis Group

Headquarters

Avenue Louise 235, 1050 Brussels, Belgium

Tel: +32 2 502 90 38

brussels@crisisgroup.org

New York Office

newyork@crisisgroup.org

Washington Office

washington@crisisgroup.org

London Office

london@crisisgroup.org

Regional Offices and Field Representation

Crisis Group also operates out of over 25 locations in Africa, Asia, Europe, the Middle East and Latin America.

See www.crisisgroup.org for details

PREVENTING WAR. SHAPING PEACE.